واشنطن و«داعش» ونحن!

الأميركيّة عن محاربته ان يعقد صلات وروابط صداقة وتحالف مع أدوات المشروع الأميركي في العراق؟ من المعروف ان المالكي هذا كان يجلس في كرسيّه مرّة كل أسبوع في عهد بوش ويعقد اجتماعاً معه عبر الفيديو وذلك لتلقّي الأوامر التفصيليّة من السيّد في البيت الأبيض. هذا هو نوري المالكي على حقيقته. هناك من يقول ان المالكي قاوم رغبة أميركا في الحفاظ على قوّة احتلال عسكريّة بعد موعد الانسحاب الرسمي، لكن ذلك حدث بعد ان استنفدت أميركا أغراضها منه، كما أن حميد قرضاي أنهى سنوات حكمه على خلاف مع الحكومة الأميركيّة، التي استبدلته بمَن هو أكثر طاعة منه.

رابعاً، لم يعقد الحزب صلات مع أطراف غير شيعيّة في المقاومة العراقيّة. قد يكون ذلك بسبب تجنّب إغضاب حلفائه الشيعة في الحكم. اما النظام السوري فقد أقام علاقات مع تلك القوى ما سببّ أزمة في العلاقة بين المالكي وبين النظام السوري، وقد اتهم الأوّل النظام بدعم الإرهاب.

خامساً، صحيح ان عزو تحالف الحزب مع النظام السوري إلى عامل مذهبي غير صحيح لكن التهمة لا يمكن ردّها في علاقته مع النظام العراقي. لا يسهل على معارضة الخارج السوريّة (الموالية لأنظمة الفتنة الخليجيّة) ان تلصق تهمة الطائفيّة على علاقة حزب الله بالنظام السوري لأن لعلاقة الحزب مع النظام السوري تاريخ من الصراع والحروب والتوتّر. لم تصلح العلاقة بين حزب الله وبين النظام إلا في عهد بشّار الأسد، إذ ان النظام كان يفضّل حركة «أمل» على الحزب، وكان يصرّ على زيادة التمثيل السياسي للحركة على حساب الحزب. كما ان العقيدة الإثناعشريّة ليست متطابقة مع المذهب العلوي (بالرغم من فتوى سياسيّة لموسى الصدر في عام 1973). لكن الطائفيّين لا يعترفون بفروقات بين مَن يكرهون من «الرافضة». لكن كيف يمكن الجمع بين سياسة وعقيدة الحزب المقاتلة-المُقاومة وبين النظام الطائفي الحاكم في العراق؟ ما الذي يمكن ان يجمع بين حزب الله ومقاومته وبين شخص وحركة نوري المالكي؟

سادساً، لم يحسن الحزب التعاطي مع الحملة الطائفيّة المجنونة التي شنّها ضدّه وضد عموم الشيعة النظام السعودي وحلفائه في منظمة التحالف الخليجي-الإسرائيلي. قرّر النظام السعودي، وبمباركة أميركيّة، شنّ حرب شعواء ضد الشيعة بعد 2003، وخصوصاً بعد فشل العدوان الإسرائيلي على لبنان في 2006، من أجل تقويض دعائم المقاومة العربيّة ضد الاحتلال الإسرائيلي. ولقد فشل الحزب فشلاً ذريعاً في التصدّي لهذه الحملة. صحيح ان قدرة الحزب على التصدّي ضعيفة لأن طائفيّة الحزب (إن من خلال عقيدته الدينيّة المذهبيّة، أو من خلال تركيبته الاجتماعيّة أو من خلال ظروف نشأته) حقيقة وليس خيال. لكن الحزب، للإنصاف، لا يستعمل اللغة والخطاب السياسي قطّ وهو يفعل المستحيل لمنع جرّ جمهوره الى حلبة المواجهة الطائفيّة. والحزب فعل المستحيل كي يتجنّب الانجرار إلى مواجهة طائفيّة في لبنان وفي خارجه، لكنه أخطأ في أكثر من موقع في التجنّب. أعلن الحزب بشخص زعيمه، حسن نصرالله، في 7 أيّار 2008 ان الفتنة انتهت لكنها كانت تستعر ولم يزدها الحدث إلا استعاراً. لم يحسن الحزب في بناء جبهة غير طائفيّة لمساندة المقاومة ومشروعها في لبنان، وحصر علاقاته السياسيّة في نطاق التحالفات الطائفيّة. كما ان الحزب تقوقع أكثر إعلاميّاً بعد عدوان تمّوز ما سمح لإعلام النفط والغاز بأن يسود في العالم العربي، وأن يسيطر على الخطاب والمصطلحات السائدة.

إن استقبال حزب الله للمالكي واحتفاء نصرالله به سيعزّز الانطباع العربي (الشعبي) السائد عن صبغة طائفيّة للحزب. يخال المرء ان قيادة حزب الله، وحسن نصرالله شخصيّاً، لا يدرك مدى تغيّر صورة ومكانة الحزب في نفوس معظم العرب (وهناك إستطلاعات عالميّة تدلّل على ذلك)، هذا مع ان معظم هذا التغيّر يرجع لنفاذ التحريض الطائفي ونجاحه في تحوير الأنظار عن خطر العدوّ الإسرائيلي. وقد تجاهل الحزب ان حكم المالكي إتسم بممارسات إضطهاد وقتل طائفيين، كما أن الفساد وسم سنوات حكمه (مع أخبار عن ضلوع لأفراد من عائلته بالثمار). وقد صدر بعد لقاء نصرالله مع المالكي بيان جاء فيه ان نصرالله قدّر للمالكي «شجاعته ومواقفه ضد أميركا والسعوديّة». أي شجاعة ضد أميركا، والرجل نُصّب في الموقع من قبل أميركا نفسها، وكان المنفّذ المُطيع لسياسات بوش، ويتلقّى الأوامر عبر الفيديو أسبوعيّاً. صحيح ان أميركا لم تعد راضية عنه في السنتيْن الماضيتيْن لكن ذلك يعود لاستنفاده لدوره ولأنها باتت تفضّل عليه مرشّح آل سعود، أياد علاّوي. إن غضب أميركا الحالي على حميد قرضاي لا يعني ان الرجل لم يكن مضرب المثل في خدمة أميركا، وفي كونه أداة أميركيّة منذ النشأة السياسيّة.

وأضاف البيان الإعلامي (عن لقاء نصرالله مع المالكي) ان «القراءة (بين نصرالله والمالكي) كانت متطابقة حول الخلفيّات والأهداف وسبل المواجهة». كيف سيفسّر الرأي العام العربي هذا البيان؟ إن المالكي كان متحمّساً (ومستفيداً) من الغزو الأميركي للعراق، هل ان الحزب غيّر تقييمه للغزو وأصبح من مؤيّديه؟ أن المالكي كان حاكماً بالأمر الأميركي وكان ينفّذ سياسات قتل المقاومين العراقيّين، هل أصبح الحزب معادياً للمقاومة العراقيّة مع انه أسهم في دعمها؟ كما ان المالكي في سنوات حكمه كان حاضراً في كل التجمّعات العربيّة والدوليّة التي كانت أميركا تأمر بها، هل بات الحزب يماشي تلك التجمّعات؟ وكان الدور الدبلوماسي للعراق في سنوات المالكي متماشياً مع السياسات الأميركيّة فكيف يكون الحزب موافقاً عليها؟

يحتاج حزب الله إلى وقفة لمراجعة سياساته وخطابه وصمته. إن الفتنة الطائفيّة تمعن خراباً في الجسم العربي والإسلامي، ومشروع المقاومة يعاني من جراء نجاح خطاب وسياسات الفتنة في العالميْن العربي والإسلامي. لم تعد مسألة مواجهة الفتنة ضرورة حزبيّة أو حتى دينيّة، إنها ضرورة حيويّة وعسكريّة من منظور المقاومة. وهذه الضرورة كان يجب ان تمنع الحزب من الاحتفاء بنوري المالكي.

* كاتب عربي
(موقعه على الإنترنت: angryarab.blogspot.com)

سعدالله مزرعاني *

ما يوجّه سياسات الولايات المتحدة الأميركية في العالم هو مصالح كتلها الاحتكارية الضخمة التي طوَّرت «العولمة» الشاملة واستفادت منها، ولا تزال، إلى الحد الأقصى. لكن أساليب خدمة هذه المصالح، من قبل ممثليها في «البيت الأبيض» و«الكونغرس» الأميركيين وسواهما من المؤسسات والأجهزة، ليست واحدة: بسبب التنافس والتباين، وكذلك بسبب خصوصيات المراحل والأحداث نفسها وشبكة المصالح والتناقضات المتممة في الحقلين الداخلي والدولي.

في مجرى ذلك قد تتعاظم الأخطاء في التنفيذ إلى درجة فائقة الأضرار. حصل هذا الأمر، مثلاً، أثناء ولايتي جورج بوش الابن. انتهت مغامرته وفريقه من «المحافظين الجدد» في العراق، بخسائر فادحة على المستويات كافة: العسكرية، والسياسية والأمنية، والاقتصادية... ليس أدل على ذلك، بشكل خاص، من الأزمة الهائلة التي ضربت الاقتصاد

> **الخسائر الناجمة عن السياسات الأميركية السابقة والراهنة لم تنحصر في الحيِّز العسكري والبشري والاقتصادي**

الأميركي بدءاً من أواخر عام 2008 وتداعت ارتداداتها السلبية على كل الأوضاع النقدية والاقتصادية في العالم (الرأسمالي خصوصاً).

لكن في رصيد النمط الأميركي في الإدارة السياسية والاقتصادية... القدرة على الحد من الخسائر، وذلك بسبب التنافس وحيوية وتنوع الأساليب التي تحدثنا عنها، وإن كان بشكل محدود، ودائماً في خدمة مصالح الكتل الاحتكارية الكبرى. أما ادعاء دعم وخدمة قيم عامة فيبقى في الحقيقة، مجرد مزاعم لم تصمد يوماً أمام جموح تعظيم الربح وبسط الهيمنة وبشاعة الأدوات والأساليب.

ما حصل في الكونغرس الأميركي، قبل أيام، لجهة إدانة أساليب التعذيب ضد المعتقلين من قبل إدارة بوش الابن الأولى، لا يخرج عن إطار عمليات المراجعة والتحسين، بما في ذلك تحسين صورة أميركا في العالم عبر الادعاء بإيلاء أهمية لحقوق الإنسان بمعزل عن شبكة المصالح الاحتكارية وأحياناً بالتضاد معها. الهدف الفعلي هو غير ذلك تماماً: إنه تكريس إضافي لانعطافة كبيرة في السياسات الأميركية لجهة التخلي عن استراتيجية «الحرب الاستباقية» وإرسال مئات آلاف الجنود إلى الخارج وإنفاق أرقام خيالية على الانخراط المباشر في النزاعات القائمة أو المفتعلة. كانت لجنة بيكر – هاملتون التي تشكلت من قبل الحزبين اللذين يتداولان دائماً السلطة في الولايات المتحدة الأميركية (الجمهوري والديمقراطي) والتي كُلفت بالنظر في «إخفاقات» واشنطن بعد غزو العراق، قد دشنت مرحلة الانتقال من التدخل المباشر (الذي أغرى به انهيار الاتحاد السوفياتي ومنظومته أوائل التسعينيات) إلى التدخل غير المباشر، قليل التكلفة بالضرورة، الذي تمارسه إدارة الرئيس باراك أوباما بدعم شبه شامل من أصحاب القرار في واشنطن (رغم الانتقادات التي تتناول الأداء لا جوهر السياسات). لكن الخسائر الناجمة عن السياسات الأميركية السابقة والراهنة (المستمرة في مناطق وجوانب أخرى حول العالم) لم تنحصر في الحيِّز العسكري والبشري والاقتصادي فحسب... لقد امتدت أيضاً إلى الحقل الأخلاقي والحضاري نفسه. ليس الغزو والعدوان بمبررات كاذبة ومفضوحة أمراً حضارياً. وليس تدمير سيادة بلدان ومرافقها وقتل مئات الآلاف وتشريد الملايين من أبنائها «مسألة فيها نظر»! وليس التعذيب البشع والاعتداء على كرامة السجناء (أبو غريب مثلاً) ذوَي صلة بكرامة الإنسان وحقوقه. هذا فضلاً عن نهب ثروات تاريخية وأخرى اقتصادية بطريقة همجية لا يدانيها إلا السكوت على جرائم الصهاينة ضد الشعب الفلسطيني، وهي جرائم مستمرة كان آخرها العدوان البربري على غزة وشعبها في الصيف الماضي...

ينبغي أن نضيف بأن «داعش» وأمثاله ممن تقوم الآن من أجل محاربتهم الأحلاف الإقليمية والدولية بقيادة الإدارة الأميركية، قد ولدت أساساً من رحم الحروب الأميركية: بتشجيع منها مرة أو كردة فعل عليها في مرة ثانية! لا يبرر ذلك، قطعاً، ما تمارسه قوى الإرهاب والتكفير من إجرام غير مسبوق في الشكل على الأقل. لكن الحقيقة يجب أن تقال كلها، لكي تكتمل الصورة بشكل صحيح، ولكي يبنى على ذلك مقتضاه في تحديد المسؤوليات وإجراء ما ينبغي من المحاسبة المادية أو الأخلاقية. ذلك أن الصراع ما زال مفتوحاً وخسائره ناتج معظمها من انتهاكات وارتكابات الكبار قبل الصغار...

لكن الأسوأ في كل ذلك، أن البعض ما زال يطالب الإدارة الأميركية بالعودة إلى سياسة التدخل المباشر بالجيوش لا بالمستشارين فقط! ونسمع، كل يوم، مزيداً من الهجاء ضد «ضعف» الرئيس أوباما و«تردده». يُحيل ذلك، في الواقع، إلى عامل مهم من عوامل العجز والتبعية والتفريط. وهو ما ساهم في جعل منطقتنا حقل صراع دائم وشبه وحيد في هذا العالم المترامي وذي الأزمات والمشاكل المتعددة والمتنوعة، إذ تفيد لوحة الصراع الحالي، المعقد والضاري، في بلداننا، وكأن هذه البلدان، تدخل جميعاً في مرحلة أو حالة «الفشل»: لقد باتت الحروب والقوى المتقاتلة كلها «محلية». أما الخارج فيراقب ويدير ويستفيد ويقدم نفسه مساعداً ومنقذاً... هذا وسط تشابك في التناقضات واستحضار للعصبيات وانتهاك للقيم والأخلاق والتقاليد الحضارية، من أبسطها حتى أعقدها، بشكل غير مسبوق.

من نافل القول إن منطقتنا مكشوفة إلى الحد الأقصى: لا مؤسسات موحَّدة ولا مرجعيات فعّالة ولا ديناميات سياسية جدية للتعامل مع الأزمات واحتواء نتائجها الكارثية التي تنتشر كالنار في الهشيم. ولا نتحدث هنا فقط عن مؤسسات معطَّلة كجامعة الدول العربية، وما نشأ في رحمها وكنفها من مؤسسات ولجان لم تكن يوماً فاعلة أو مؤثرة. لقد ضرب الوهن والخلل والتفكك أيضاً، أطراً كانت، إلى الأمس القريب تتمتع بالحد الأدنى من التماسك والتضامن كمجلس التعاون الخليجي الذي لم يبرأ، رغم كل المحاولات، من انقسام غير مسبوق لم ينفع في علاجه واحتوائه كل ما بذل من ضغوط وجهود وتعهدات وتهديدات ومناورات! لم تكن المؤسستان اللتان ذكرناهما يوماً، موضع ثقة أو أمل، إلا أن ذلك لا يبرر أبداً بقاءهما على هذا النحو من العجز والهامشية فضلاً عن استخدامهما غالباً من قبل أعداء حقوق ومصالح شعوبنا وبلداننا! ينطبق ذلك أيضاً على مؤسسات إقليمية كانت قد أُنشئت بهدف النهوض والتحرر و«التصدي» لكنها تعطلت هي الأُخرى، أما ما تبقى منها فهياكل فارغة لا تسمن ولا تغني. لا ينبغي أن نستثني أيضاً ما أصاب مجمل قوى التغيير والتحرر من فشل وأخطاء، خصوصاً بسبب آفة التفرد والتمسك بالسلط والنفوذ، وغالباً بوسائل القمع والمنع والاستبداد، مما صرفها عن أهدافها التي رفعتها في مراحل المعارضة والتأسيس...

لا يعني كل ذلك الاستسلام لليأس. ثمة عناصر مقاومة ما زالت قائمة وفاعلة. بل ثمة انتصارات قد تحققت في وجه التحالف المعادي لمصالح شعوبنا في أكثر من حقل ومن ساحة. وهذه العناصر بدت، إلى فترة قريبة، حاضرة وواعدة بشكل كبير، وهي قد تستمر كذلك رغم كل مما حصل إذا استدركت وراجعت وصححت. ما تراكم من الأخطاء في النهج والأساليب قدَّم التحالف المعادي هدايا وانتصارات مجانية لا يجوز تكرارها ولا السكوت عليها بعد اليوم.

لا شك في أن بناء مسار مواجهة جديد، يتطلب تكراراً، إعادة نظر جذرية بالتوجهات والأساليب والعلاقات. هذه مسألة معقدة وصعبة لكنها رغم ذلك ممكنة وضرورية ومصيرية للخروج من أزماتنا المتفاقمة والقاتلة.

* كاتب وسياسي لبناني

«داعش» وامثاله قد ولدت اساساً من رحم الحروب الاميركية (أ ف ب)